

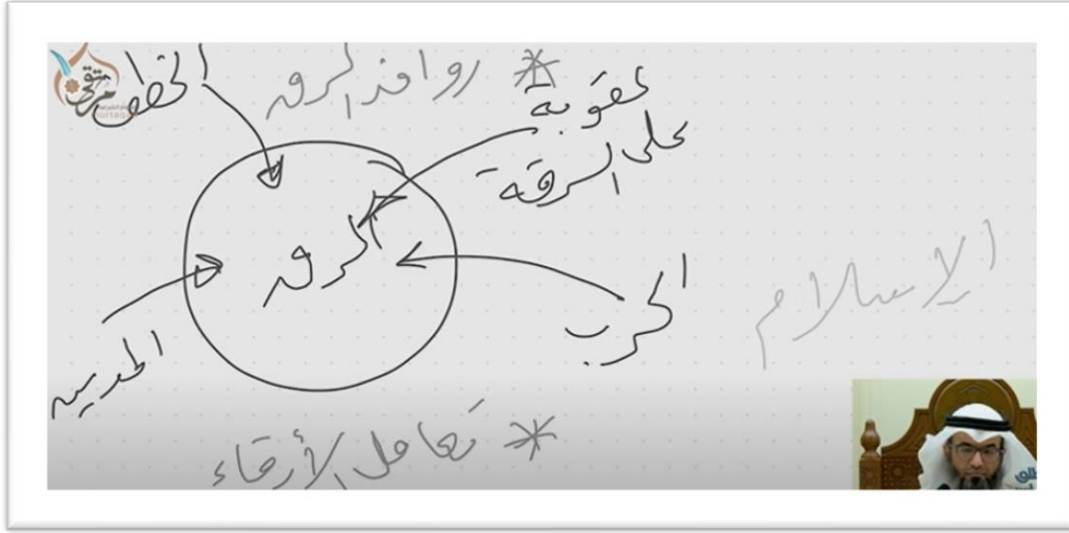
الرفق

وَالْعَبُودِيَّةُ

د. مُطَلَّقُ الْجَاسِرِ



❖ لماذا لما بُعث النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لم يُلغِ الرق؟ لماذا؟



حتى نجيب على هذا السؤال نقول: دائرة الرق كانت موجودة قبل بعثة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فكان في عهد النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وقبله وبعده على جميع مستويات العالم وكل البشر في جميع الحضارات كان الرق موجوداً، بل إن سقراط وأرسطو وأفلاطون كان يأصلون.

أي: أفلاطون مثلاً في كتابه [المدينة الفاضلة] يقسم الناس إلى طبقات، وهؤلاء أرقاء، وهؤلاء أسياء، فكان يحتقر العبيد والنساء، هذا الذي يفتخرون به وسقراط وفلان وأفلاطون إلى آخره.



❖ ما الَّذِي كان يغذي دائرة الرق قبل الإسلام؟

❖ كان يغذيها عدة أمور:

❖ أولاً: كانت عقوبة على السرقة، في بعض الشرائع كما في شريعة يوسف عليه السلام،

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ [يوسف: ٧٥].

❖ أيضاً كان الخطف، كان يُخَطَفُ الإنسان الحر ويُسْتَرَقُ كما فعلوا بصهيب الرومي -رَضِيَ

اللهُ عَنْهُ-، ولم يكن رومياً، هو عربي، لكنه خُطِفَ وبيع، زيد بن حارثة كذلك كثير.

❖ كذلك الحرب والأسرى واسترقاق الأسرى.

❖ كذلك المدين إذا لم يجد سداداً لماله يُؤَخَذَ رقيقاً.

هذا على مستوى روافض الرق.

❖ **هناك على مستوى آخر** تعامل الأرقاء، كان في أدنى ما يمكن أن يكون في التعامل البشري،

لما جاء الإسلام كان عندنا خياران:

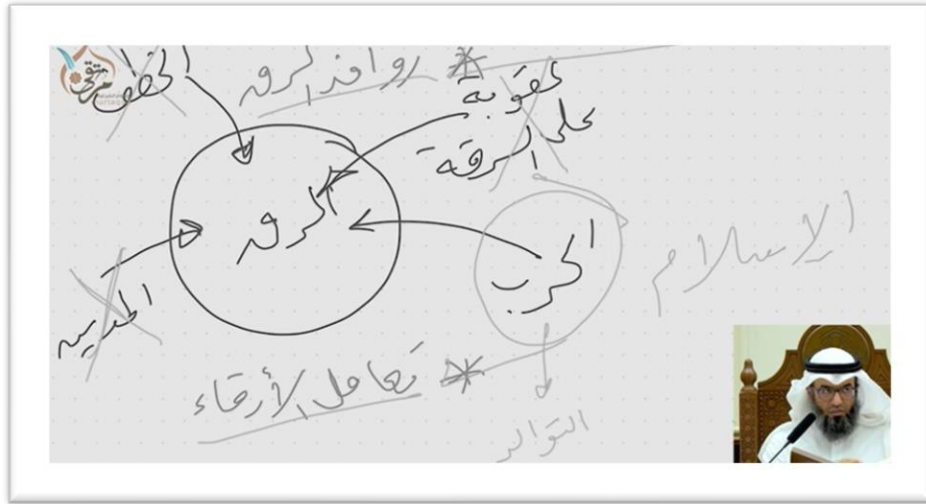
❖ الخيار الأول: إلغاء الرق بالكلية.

❖ والخيار الثاني: تهذيبه لا إلغاؤه.



إذا نظرنا إلى الخيار الأول إلغاء الرق بالكلية هذا لن يكون خيارًا جيدًا، لماذا؟ لأن كثير من الأرقاء لا يمكن لهم أن يعيشوا في ذلك الوقت إلا في هذا النظام؛ لأنهم قد وُفِر لهم الطعام والشراب والسكن، فاتخاذ قرار مفاجئ بالقائهم بالشوارع، هذا يؤدي بهم ربما إلى الهلاك، ربما يؤدي بهم إلى الموت، هذا من جهة.

من جهةٍ أخرى يضيعوا أموالاً دُفَعَت عليهم بالشراء وبالطعام، فسيضيع حقوق أسيادهم.



❖ ما الَّذِي فعلهُ الإسلام؟

❖ أولاً: أوقف الإسلام روافض الرق السيئة، أي: أوقف أن يُسترق الإنسان بناءً على عقوبة السرقة، وأوقف الخطف، يقول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**قال الله - جَلَّ وَعَلَا - : ثلاثة**



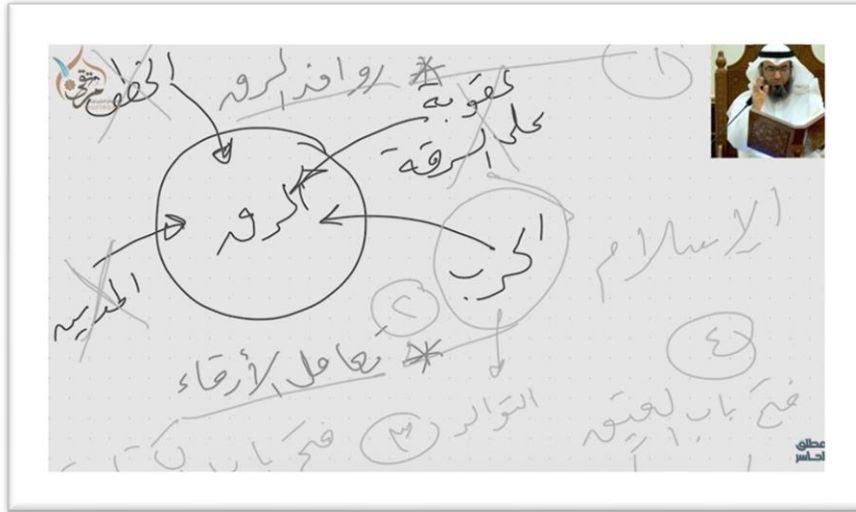
أنا خصمهم يوم القيامة، رجلٌ أعطى بي ثم غدر، ورجلٌ أخذ حراً وباعه وأكل ثمنه»،
وكذلك ألغى المدين.

﴿ وأبقى على رافضٍ واحدٍ فقط وهو الاسترقاق الناشئ عن الحرب فقط لا ثاني له، إلا التوالد، أي: أن يكون ولد الرقيق رقيقاً، ما عدا ذلك لا يوجد رافض من روافض الرق إلا الحرب.﴾

هذا الأول، هذا فيما يتعلّق بروافض الرق.

✽ الأمر الثاني: فيما يتعلّق بتعامل الأرقاء: أحسن أو هذب وشدد الإسلام في مسألة تعامل الأرقاء، قال النبيّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يديه فليطعمه مما يطعم، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفهم ما لا يطيقون، فإن كلفتموهم فأعينوهم».

مع سلسلة كبيرة جداً من الأحاديث التي حُدت بمثل أبي ذر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه إذا مشى مع رقيقه لا يُعرَف السيد من العبد، هذا الأمر الثاني.



❖ هذا الإجراء الأول: الَّذِي اتخذهُ الإسلام.

❖ الإجراء الثاني: تحسين التعامل.

❖ الإجراء الثالث: فتح باب الكتابة.

والكتابةُ أُعدِل من إغناء الرق بالكلية، وذلك أن الكتابة تحفظ حقَّ السيد بإرجاع ماله له، وتعطي خيارًا للعبد الَّذي يريد العتق؛ لأنه ربهما لا يريد، فأنا كسبتُ أمرين بفتح باب الكتابة:

- ١- سمحت لمن يريد العتق بطلب العتق.
- ٢- ولم أضيع حق السيد في أمواله التي دفعها، في طعامه الَّذي دفعه، في شرايه، في بيته إلى آخره.



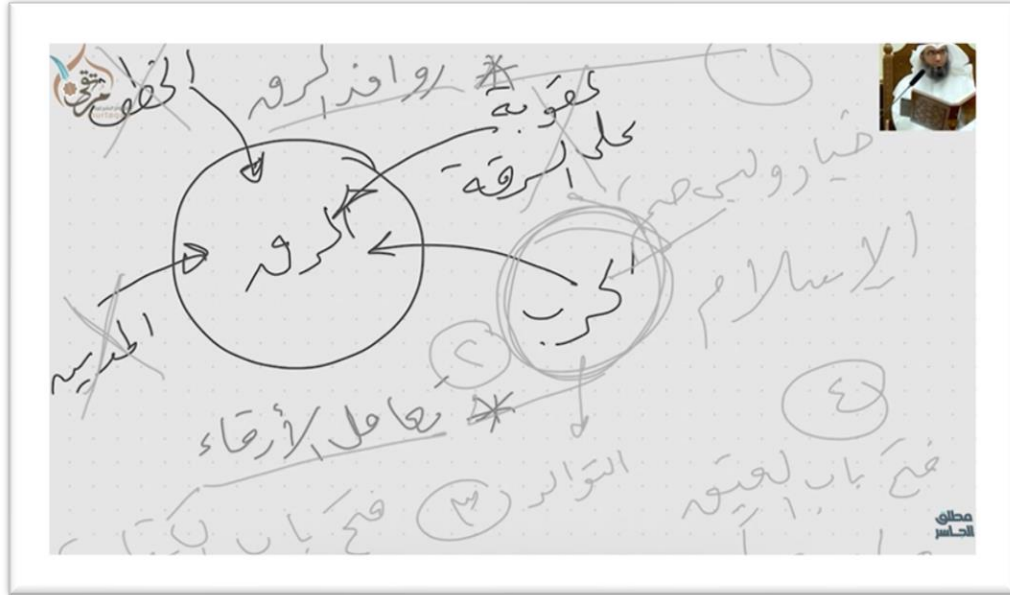
وأمر الإسلام بقبول الكتابة، قال: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]، هذا الإجراء الثالث.

✽ الإجراء الرابع: فتح باب العتق واسعاً، الأمر بالعتق، انظر الحديث الذي مر معنا قبل قليل ﴿مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ إِرْبٍ مِنْهَا﴾ أي: عضو «إرباً منه من النار حتى اليد باليد، والرجل بالرجل، والفرج بالفرج». متفقٌ عليه.

ثم الكفارات كلها تقريباً فيها عتق، ثم تشوف الشرع إلى العتق في كثيرٍ من الأبواب التي مرت معنا، كل شيء حرام حرام، العتق لا خلاص ما دام في عتق الشريعة تشوف إلى العتق، مثلما مر معنا في باب الرهن «مَنْ رَهَنَ عَبْدَهُ فَأَعْتَقَهُ»، وحرام عليه أن يعتقه؛ لأنك ما يجوز أن تتصرف في الرهن.

أي: لو بعت سيارة البيع باطل، لو بعت بيت البيع باطل، لكن لو أعتق العبد عتق، ما دام فيه عتق ستمشي، ولكن تعوض قيمة الرهن.

◀ **إِذَا** هذه أربع إجراءات صار فيها تهذيب لعملية الرق هي خيرٌ من إلغائه بالكلية، وما يترتب على ذلك من مفسد.



❖ **فإن قال قائل: لماذا لم يوقف الإسلام رافض الحرب، بل أبقاه وأقره؟**

❖ **الجواب:**

❖ **أولاً:** الاسترقاق في الحرب خيارٌ وليس حتم، فإذا قام المسلمون وأسروا الأسرى من الكفار لا يلزم أن يسترقوا فوراً، وإنما يكون الإمام خيراً تخييراً مصلحاً لا تخييراً تشهياً؛ لأنَّ

تصرفات الإمام منوطة بالمصلحة، بين ماذا؟

١- بين المن عليهم بفك الأسر.

٢- وبين قتلهم.

٣- وبين استرقاقهم.



٤- وبين أخذ الفدية وإطلاقها.

أربع خيارات، فخيار الاسترقاق ليس حتمياً، ليس كل مَنْ يُؤَسَّرُ يجب أن يكون عبداً، ليست كل مَنْ تُؤَسَّرُ تجب أن تكون أمةً.

◀ **إذا** القضية تُضَعُ للمصلحة، فمثلاً: لا يجوز أن يكون مثلاً العدو يستعمل سلاح الاسترقاق وأنا لا يمكن أن أستعمل هذا السلاح، إذا أسرني استرقني وأنا لا يكون عندي متاح أن إذا أسرته استرقفته، **هذه القضية الأولى.**

القضية الثانية: لا شك أن اليوم ما يُستعمل اليوم في كثير بل في كل بلدان العالم من عقوبة السجن هي أشنع من عقوبة الاسترقاق.

فإن الاسترقاق لا يجس حرية الإنسان، بل توجب على مَنْ استرقه أن يطعمه، أو يُشربه، وأن يُحسن عنايته و و إلى آخره، لكن اليوم يُحبَس المسجون وتُحبَس حرته لأشياء كثيرة.

✦ **فلماذا يُنعى على الإسلام فقط في خيار الاسترقاق كعقوبة لمن حاربني وأراد أن يقتلني،**

ولا يُنعى على مَنْ يستعمل عقوبة السجن، وهي أشنع؟

✦ **أولاً:** إذا نظرت إليها في الحقيقة هو مسجون بيد جدران، أما هذا فهو يأتي ويجيء ويعمل،

ليس مسجوناً بين جدران، واستنكرتم هذه العقوبة ولم تستنكروا عقوبة السجن التي يكون



الإنسان محروم منها من الحياة تقريباً، هذا ناهيك عن ظروف السجن التي يكون فيها من أذى، من سوء، إلى آخره، هذا أمر، هذا أمر.

✽ الأمر الآخر: فكرة الاسترقاق لم تكن محل استنكارٍ من أحدٍ أصلاً لا من مسلمٍ ولا كافرٍ، لماذا؟ لأن طبيعة البشر وطبيعة النظم الاجتماعية في العصور السابقة لا يمكن أن تسير إلا وفق نظام الاسترقاق.

ما كان يوجد مكائن، ما كان يوجد مصانع، فلو لم يوجد رقيق يعمل لما كان بإمكان البشر أن يسيروا اقتصادهم، هكذا نظام البشر، تغيّر النظام وتحوّل إلى رقيق لكن من جهةٍ أخرى، اليوم في مصانع، في أعمال، في بعض الدول، يسترقون الناس استرقاقاً لكن بشكلٍ آخر.

في بعض دول شرق آسيا مثلاً في مصانع المصانع الأوروبية تفتح في دول شرق آسيا، تجعلهم يعملون اثنا عشر ساعة في اليوم براتب لا يتجاوز المئة دولار، اثنا عشر ساعة في اليوم! من خمسة الفجر إلى خمسة العصر، أو من ست إلى ست، ويعطونهم ساعة استراحة في اليوم، ويبيعون القطعة التي يصنعونها بمبالغ طائلة، لماذا لم يستنكر الناس هذا؟

﴿ **فإذا القضية** - يا إخواني- التي تُثار على الإسلام باستمرار وهي قضية الرق، يجب أن تُفكك على هذا النحو، ويُنظر إليها بهذا الشكل، وأن الإسلام وفق إجراءاته التي اتخذها:



❁ **أولاً:** أوقف روافض الرق السيئة، وحسّن التعامل مع الأرقاء.

❁ ثم فتح باب الكتابة، مَنْ أراد العتق فحياه الله، وجمع بين إرادتي السيد والعبد.

بدل أن أجبر لأنّ كثير ممن لما صدر قرار منع الرق كثير من العبيد أبوا أن يطبقوا هذا القانون، لا نريد أن نخرج نحن نريد البقاء كثير هذا في كثير من دول العالم، ثم إنه فتح باب العتق أيضاً واسعاً على مصرعيه، وفيما يتعلق بالعتق، فيما يتعلق بالاسترقاق الناشئ عن الحرب فهو ليس حتماً، وإنما هو خيار، ثم إنه عقوبةٌ من العقوبات على أعظم ما يُذنب وهو الكفر بالله - عزّ وجلّ -.

وأنتم يا أيها البشر المستنكرون على المسلمين تستعملون عقوبةً أشد على أمرٍ أخف، وهي عقوبة السجن، وربما الإعدام، وربما عقوبات أخرى لم يستعملها الإسلام، بل أثبت التاريخ الإسلامي أنّ فكرة الاسترقاق في الحرب ودخول الناس إلى المجتمع المسلم أرقاء، ثم عتقهم بعد ذلك نشأ عندنا طبقة من الموالي هم الذين حملوا أصلاً رسالة الإسلام.

لو رأيتم آخر القرن الأول من هم العلماء أصلاً! مَنْ! محمد بن سيرين مولى، البخاري كذلك، مسلم كذلك، أغلب العلماء كانوا من الموالي تعرفون القصة الشهيرة نسيت أي خليفة كلما سأل قال: مَنْ أعلم هذا البلد؟ قالوا: فلان، قال: ومن أي العرب؟ قالوا: مولى، مَنْ أعلم أهل



البلد؟ قالوا: فلان هو مولى، مَنْ أعلم، قالوا: كلما سأل عن أهل هذه البلد قالوا: مولى، نافع مولى بن عمر مولى، عكرمة مولى ابن عباس.

﴿ **فَإِذَا** اندمجوا في المجتمع المسلم، ورفعوا هذا المجتمع، وهذا دليل على أن هذا الأمر.

﴿ **لكن الإشكالية** أننا ننظرُ إلى الأمورِ بمنظارٍ غيرنا، وننهزم أمام هذه النظرة، والواحد من المسلمين مع الأسف إذا مر على مثل هذه المسائل وجود الرقيق؛ كأنه لسان حاله يقول: وددتُ لو حككتها من المصحف، أو حككتها من الكتب، لماذا؟ لأنه نظر بنظرة أعدائه.

بينما أعداؤه واقعون فيما هو أشنع، لكن ما ينظر إليهم بهذه النظرة، ما ينظر إليهم، بل ينظر لهم باستعظام، وينظر لهم باحترام، وينظر إلى نفسه نظرة انهماك وهذا أكبر خطأ، دينك لا تنظر إليه نظرة انهماك مهما كان، مهما حصل؛ لأنك مؤمنٌ وموقنٌ أنه من عند الله - جَلَّ وَعَلَا -.

﴿ **لذلك الله - عَزَّ وَجَلَّ - يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ**

لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ [النساء: ٦٥].

نكرة في سياق النفي، فلو أقل حرج مما قضيت، أي: حتى لو ساكت ما تكلم، لكن في نفسه شيء، ويسلم تسليمًا، لا يكمل إيمان الإنسان إلا بذلك، نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يجب ويرضى.